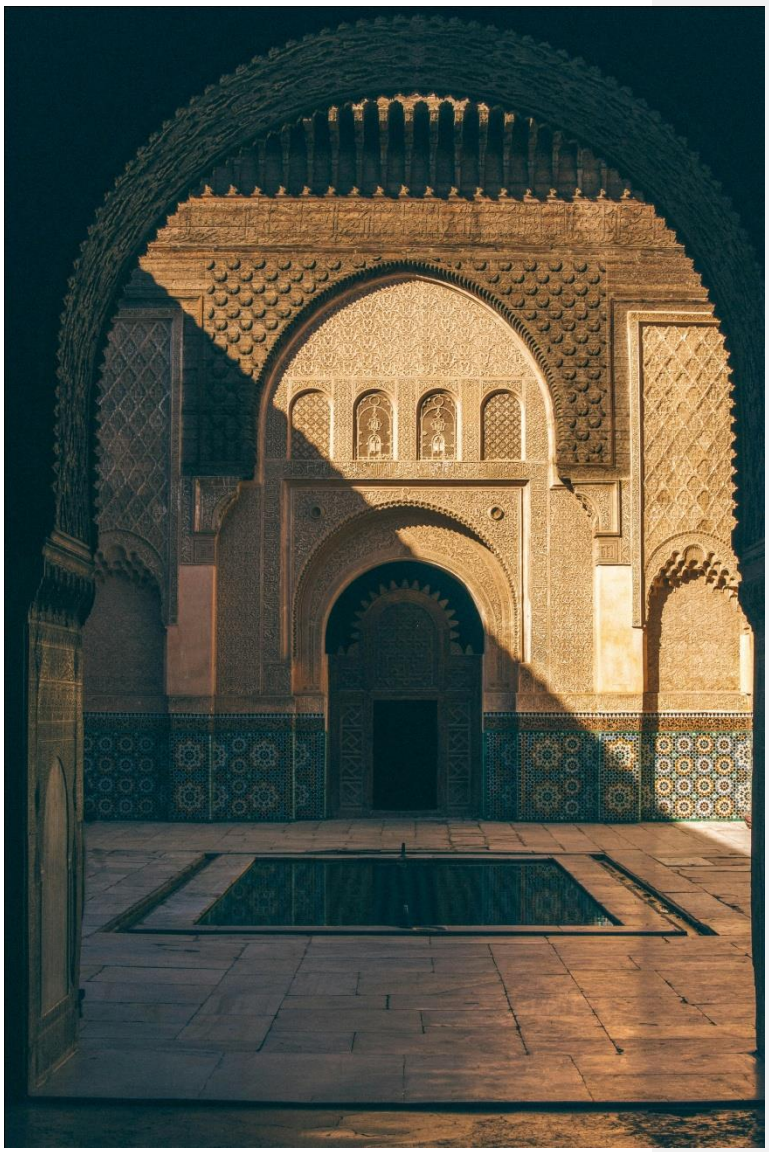

و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

الباحثون عن الحقيقة

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٨-١١-١٤٤١ هـ

الباحثون عن الحقيقة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أما بعد:

في هذا اللقاء سنتحدث عن شيء مهم جدًا في طريقنا إلى الله عز وجل **وهو سطوة الاستسلام للغلبة أو الكثرة**، وأحيانًا عندما تحاول أن تغير شيئًا من عاداتك السيئة أو أن تترك شيئًا من الحرام أو أن تفعل خيرًا جديدًا تريد أن تبدأ فيه، تشعر أحيانًا أن التغيير قد لا يكون سهلًا!

لو كنت لوحدك في بيتك تستطيع أن تغير لكن بمجرد أن تنفتح على العالم الخارجي ترجع إلى صحبتك القديمة إلى الجمعات والمناسبات يشعر الإنسان أنه غير قادر على أن يتمسك بالقرار الذي اتخذه ويحس أن كل المجتمع يفعل هذا الشيء فأنا أتركه؟

هذا الاستسلام للمجتمع حينما يكون فيه عادة سيئة أو شيء من الباطل يقره المجتمع ويفعله الجميع أو صوت الحق حينما يصبح في منطقة ضبابية ولم يعد يعرف الناس هذا حلال وهذا حرام، وفي المقابل لا يوجد أحد يهتم لو قلت أن هذا يرضي الله عز وجل أو لا،

كيف لنا أن نتغلب على أنفسنا مع هذا العائق؟

كيف نواجه هذا المجتمع بعادة باطلة أو سيئة؟

كيف تقوي نفسك لمواجهة هذا الشعور؟

دعونا نتكلم عن هذا الموضوع من خلال نموذجين اثنين وهما اللذان نريد أن نؤكد عليهما ونتلمس الخطوات من خلالهما،

أول نموذج هو لشخص ولد في مكة وولد في قمة كفر أهل قريش أي ولد في العصر الذي وصلت فيه قريش إلى أعتى عتوها من الكفر والجاهلية الجهلاء ووصل فيهم الكفر وسوء الأخلاق إلى أنهم غيبوا عقولهم في قضايا الأخلاق وانتكاس الفطرة فسنطرح نموذجًا على ذلك..

حين نتكلم عن قضية التوحيد ممكن أن نتقبل أن كل كوكب الأرض يكفر ويشرك بالله لكن أن يكفر ويشرك بالله أهل الكعبة هذه لا تستقيم! الناس هم أهل البيت هم الذين يطوفون، ديارهم مكة وكانت كل أبنيتهم و نواديهم تحيط بالبيت، ولذلك كانوا يقدسون هذا البيت ويعظمونه ويعرفون أن لهذا البيت ربًا يحميه ومع ذلك زينت لهم عقولهم مع تباعد الحق وصوت الحق لما خفت بعد عيسى ابن مريم فما كان منهم إلا أن انتكسوا وبدؤوا في عبادة الأصنام وصنعوا أصنامهم بأنفسهم ينحتون من الحجارة والأخشاب و يضعونها أمامهم ثم يسجدون لها فيطلبون منها ويزعمون أن هذا الشيء الذي صنعوه بأنفسهم هو الذي ينفعهم ويضرهم وهو الذي سيأتيهم بالمطر والخير، أصبح أيضًا الشخص منهم إذا سافر ونسي صنمه في البيت يأتي بعجوة من التمر

ويأخذها فيصنع منها صنمًا له يتبرك به خلال رحلته وإذا شعر أنه يريد أن يعبد ربه ويدعوه يأخذ هذا التمر أمامه ويمارس طقوسه فإذا جاع في خلال هذه الرحلة ولم يجد شيئا يأكله أكل ربه.

هناك أناسٌ ماتوا من أجل هذا الباطل وتخيلوا معي الفطرة والإخلاص حينما ينتكس، كل هذا لتأخذ فكرة عن المجتمع الذي عاش فيه ذلك الرجل الذي ولد هناك والذي هو بطل درسنا اليوم،

الجاهلية وصلت إلى مرحلة أنهم كانوا يئدون فيها أولادهم وبناتهم سواءً كان ذلك خوفًا من الفقر أو كان للبنات خوفًا من العار أو غيره وفي هذا قصة مشهورة تصور بدايات وأد البنات والقصة مشهورة في أدبيات التاريخ لرجل سُبيت ابنته في إحدى المعارك فأخذوها قبيلة أخرى فكانت عند سيدهم فجاء الأب ليفتدي ابنته بالمال والإبل فقال سيد القوم خيرها إذا أرادت أن تذهب فلتذهب، وإذا أرادت أن تجلس فلتجلس فنظر إليها أبوها فأشارت إلى السيد فرجع الأب خائبًا والعار عليه من ابنته التي رضيت أن تجلس في القبيلة الأخرى فآل وأقسم الأب على نفسه ألا يولد له ابنة إلا ويقتلها ثم توارثت العرب هذا الموروث الجاهلي حتى صارت المرأة حينما يأتيها المخاض تحفر حفرة وتأتيها القابلة أمامها فتلد في هذه الحفرة فإن كان ولدًا أخذته وإن كانت بنتًا جعلتها في الحفرة وردموها في التراب ثم يأتي الأب أيضًا فلو كانت له ابنة كبرت عمرها خمس أو ست سنوات أخذها وقال لأمها زينيها سأذهب بها إلى بعض أقاربها فلما يأخذها من يد أمها يذهب بها إلى بئر، فيقول للبنت اذهبي فانظري للبئر؛ فلما تنظر يأخذها ويسقطها في البئر، ثم يردم عليها الحجارة ثم يرجع إلى بيته كأنه لم يفعل شيئا ولم يقتل نفسًا، وتلك ترجع إلى بيتها حينما ولدت تلك البنت فردمتها وكأنها لم تفعل شيئًا

هذه النفوس التي ارتكست فيها الفطرة إلى هذا الحد عاش فيهم صاحبنا في ذلك الوقت الذي كانت الجاهلية تحوم حول تلك الأخلاق وتلك العقول المعطلة، طبعًا لا نعمم فالعرب فيهم من الشهامة والوفاء بالعهود والنخوة الشيء الكثير ولذلك جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقال :"إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

فيأتي ليتمم مكارم الأخلاق التي كانت موجودة لكن أيضًا كانت هناك جاهلية مقتها الله عز وجل فقال النبي عليه الصلاة والسلام :"إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل كتاب" رواه مسلم. أي كرههم لما يقومون به من الكفر والشرك وانتكاس الفطرة،

صاحبنا عاش في هذا الوقت كله إلا أنه لم يرضَ بما رأى ولم يرضَ أن يسجد لصنم ولا أن يشرك بالله عز وجل ولم يرضَ لتلك الموؤدة أن توأد فكان يذهب إلى أصحابها فيفتديها منهم وقد تظنون أني أتحدث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام لا بل أتحدث عن شخص جاء في السير أنه مات قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بخمسة سنوات **فحديثنا اليوم عن زيد بن عمرو بن نفيل**،

الآن زيد بن عمرو نشأ في الجاهلية وكره كل ما كان قومه عليه فحينما بحث كان يترقب الناس الذين في موسم الحج فيأتي إلى القبائل فيسألهم عن دينهم ومعتقداتهم من أي أرض أتوا، يتلمس أين الشيء الصحيح

أن نسجد لصنم؟ هذا شيء لا يمكن أن يكون حقيقة.

أن نقتل نفسًا خلقها الله عز وجل؟ هذا لا يمكن أن يكون حقًا،

فكان طوال الوقت يقول أنا لا أعرف كيف دين الله عز وجل لكني على دين إبراهيم، فهم يعرفون إبراهيم عليه السلام ويعرفون أن إسماعيل بنى هذا البيت وهذا الشيء الوحيد المتبقي لهم فيقول أنا على هذا الدين وعلى هذه الملة لكن لا يعرف كيف يعبد الله عز وجل فما كان منه إلا أنه لم يرضَ بما هم عليه قومه ، "خرج زيد بن عمرو بن نفيل إلى الشأم يسأل عن الدين، ويتبعه، فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم، فقال: إني لعلي أن أدين دينكم، فأخبرني، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، قال زيد ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا، وأنى أستطيعه فهل تدلني على غيره، قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا، قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديا، ولا نصرانيا، ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله، ولا من غضبه شيئا أبدا، وأنى أستطيع فهل تدلني على غيره، قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم" رواه البخاري.

فتخيلوا معي أن هذا الرجل ليس فقط عاش في هذا الوقت وهو لا يستطيع أن يجاري الجاهلية التي كانت موجودة في قومه ولا أن يعيش مع أبي جهل وأبي لهب وأمية ابن خلف بما كانوا يعيشون من تفكير وإنما ذهب يرحل مسافرًا ليبحث عن الحق،

الحديث مختصر لكن نفهم منه أن زيدًا كان يبحث والعرب كانوا ينظرون إلى اليهود والنصارى بنوع من القداسة وأنهم أهل كتاب ويقولون هم عندهم كتاب من السماء إذًا هم أفضل منا لأن العرب في ذلك الوقت لم يأتِ منهم دين في حين اليهود والنصارى عندهم عيسى وموسى فعندهم أنبياء والعرب لم يأتِ منهم نبي بعد،

خرج زيد في رحلة ثانيه يبحث عن الدين فما استسلم لقومه ولا للإجابة الأولى التي حصل عليها، ومعنى أنه سافر في ذلك الوقت قبل تقريبا 1800 سنة فنحن نتكلم عن حر وشمس وتراب وأقدام كانت تحرث في الأرض سفرًا **لا من أجل تجارة ولا من أجل رزق وإنما من أجل الله عز وجل لأنه يبحث عن رضا الله**، فخرج هذه المرة مع ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة والذي قال النبي عليه الصلاة والسلام :"هذا الناموس الذي أنزل على موسى" رواه البخاري

خرج زيد بن عمرو وورقة بن نوفل يطلبان الدين، حتى أتيا الشام، فتنصر ورقة وامتنع زيد، فأتى الموصل فلقي راهبًا فعرض عليه النصرانية فامتنع، فرجع وهو يقول: لبيك حقًا حقًا تعبُّدًا ورقًا البرَّ أبغي لا الخال وهل مُهَجِّر كمن قال؟ آمنتُ بما آمن به إبراهيم..." رواه الطيالسي وإسناده ضعيف.

رجع زيد من هذه الرحلة وتقول عنه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: " رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معاشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري، وكان يحيي

الموؤدة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته، لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها "رواه البخاري

تخيلوا هذا الإنسان الذي يعيش بينهم ويعيش وحده بتفكير لا يشبه تفكير الناس الذين كان معهم وكان مع ذلك لا يقرب شيء من ذبائحهم ولا أصنامهم فلا يسجد لأصنامهم وإذا ذبحت ذبيحة على صنم لم يكن يشاركهم في أكلهم وإذا حج أو اعتمر معهم وسمعهم يرتجزون بتلبيتهم "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك" فهم يضيفون حتى تصبح للات والعزى نصيب من الألوهية، فكان زيد بن عمرو يقول معهم التلبية "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك" ويقول لهم كفى فإنه ليس له شريك في ملكه، هذا كله بفطرته التي فطره الله عز وجل عليها وعقله الذي هداه.

النبي عليه الصلاة والسلام قابل زيد بن عمرو وكان بينهم محادثات وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه ما كان عليه زيد بن عمرو ولكن زيد لم يكن لديه خيار ولا حل هو لا يعبد كما يعبد قريش لكن أيضًا لا يعرف ما هي الطريقة الصحيحة.

روى البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه: "عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدَحَ قبل أن ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- الوحي. فقدمت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه.
وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكارًا لذلك، وإعظامًا له"رواه البخاري

كان يحاول أن يحرك في عقولهم الصلدة والتي لا تتجاوب معه ثم ينطلق في صلاته ولم تكن صلاته سوى أن يقول "لبيك حقًا حقًا تعبدًا ورقًا" ثم يخر ساجدًا على وجهه لا يعرف صلاة غيرها.

في آخر رحلة له إلى الشام يتلمس أين الدين الحق، رجع إلى الشام وكان يقول: قال لي شيخ من أحبار الشام: إنك لتسألني عن دين ما أعلم أحدًا يعبد الله به إلا شيخًا في الجزيرة، قال: فقدمت عليه، فقال: إن الذي تطلب التوحيد، أو أصل التوحيد قد ظهر ببلادك، وجميع من رأيتهم في ضلال"

وفي رواية: "وقد خرج في بلدك نبي، أو هو خارج، فارجع وصدقه وآمن به" قال زيد: فلم أحس بشيء بعد"

تخيلوا أن هذا الإنسان كان ينتظر النبي عليه الصلاة والسلام ويتشوق إلى رؤيته وحظي بمقابلة النبي عليه الصلاة والسلام أكثر من مرة إلا أنه قابله قبل أن يبعث.

وقد جاء: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سئل عن زيد، فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده . رواه النسائي وحسنه الألباني.

هذه المنزلة الكبرى لزيد والتي لم يرتقِ لها الأشخاص العاديون، ولم يفعل زيد أي شيء سوى أنه آمن بفطرته وأعطى المجال لعقله أن يرفض ما كانت فيه الجاهلية في قومه،

وقبل أن نتحدث عن هؤلاء وهو الذي لم يصل له من العمل شيء إلا أنه كان يقول بينه وبين نفسه "اللهم لو أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به" هذا الذي ليس عنده كل هذا العلم ومع ذلك يحشر أمة وحده، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام :"دخلتُ الجنَّةَ فرأيتُ لزيد بن عمرو بن نُفيل درجتين" رواه ابن عساكر، وحسنه الألباني. وهذا من أهل الجنة وهو لم يلحق بالإسلام قيل أنه مات قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام بخمس سنوات أي رأى وجه النبي عليه السلام إلا أنه مات قبل البعثة بخمس سنين.

هناك باحث عن الحقيقة آخر وما يمكن يرد في الذهن إلا سلمان الفارسي قصته المعروفة في بحثه عن الحقيقة شيء يجب ألا نغفل عنه ونتذكره دائمًا، سلمان حكى هذه القصة لابن عباس فقال ابن عباس: حدَّثني سلمان الفارسي قال: كنت رجلاً من أهل فارس، من أهل أصبهان من قرية يقال لها: (جي)، وكان أبي دهقان أرضه، وكان يحبُّني حبًّا شديدًا، لم يحبَّه شيئًا من ماله ولا ولده، فما زال به حبه إياي حتى حبسني في بيت كما تُحبَس الجارية، واجتهدت في المجوسية، حتى كنت قاطنَ النارِ الذي يُوقِدها ولا يتركها تخبو ساعة، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئًا إلا ما أنا فيه، حتى بنى أبي بنيانًا له، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل، فدعاني فقال: أي بُنَي، إنه قد شغلني ما ترى من بنياني عن ضيعتي هذه، ولا بد من اطلاعها، فانطلق إليها، فمُرْهم بكذا وكذا، ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عني شغلتني عن كل شيء، فخرجت أريد ضيعته، فمررتُ بكنيسة النصارى، فسمعت أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلُّون، فدخلت أنظر، فأعجبني ما رأيت من حالهم، فو الله ما زلتُ جالسًا عندهم حتى غربت الشمس، وبعث أبي في طلبي في كل وجه حتى جئته حين أمسيت، ولم أذهب إلى ضيعتِه، فقال أبي: أين كنت؟ ألم أكن قلت لك: لا تحتبس عني؟ فقلت: يا أبتاه! مررتُ بناس يقال لهم: النصارى، فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم فجلست أنظر كيف يفعلون.

فقال: أي بني، دينك ودين آبائك خير من دينِهم.

فقلت: لا والله، ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قوم يعبدون الله، ويدعونه ويصلُّون له، ونحن إنما نعبد نارًا نُوقِدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت، فخافني، فجعل في رِجْلي حديدًا، وحبسني في بيتٍ عنده، فبعثت إلى النصارى، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين الذي أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام، فقلت: فإذا قدِم عليكم من هناك ناسٌ فآذنوني، فقالوا: نفعل، فقدم عليهم ناس من تجَّارهم، فبعثوا إليَّ أنه قد قدِم علينا تجار من تجَّارنا، فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذنوني، فقالوا: نفعل، فلما قضوا حوائجهم وأرادوا الرحيل، بعثوا إليَّ بذلك، فطرحت الحديد الذي في رجلي، ولحقت بهم. فانطلقت معهم حتى قدِمت الشام، فلما قدِمتُها سألتُ: مَن أفضل أهل هذا الدين؟ فقالوا: الأسقف صاحب الكنيسة، فجئتُه، فقلت له: إني أحببت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد الله فيها معك، وأتعلَّم منك الخير، قال: فكن معي، قال: فكنت معه، وكان رجل سوءٍ كان يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعها إليه اكتَنَزها ولم يُعطِها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِقٍ،

فأبغضتُه بغضًا شديدًا لما رأيت من حاله، فلم ينشبْ أن مات، فلما جاؤوا ليدفنوه، قلتُ لهم: إن هذا رجل سوءٍ، وكان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، حتى إذا جمعتموها إليه، اكتنزها ولم يُعطِها المساكين، فقالوا: وما علامة ذلك؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزها، فقالوا: فهاتِه، فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهبًا ووَرِقًا، فلما رأَوا ذلك، قالوا: والله لا يدفن أبدًا، فصَلَبوه على خشبة ورَمَوه بالحجارة، وجاؤوا برَجُل آخر فجعَلوه مكانه.

هذا الفتى الذي لم تنفتح عينه إلا على دين المجوسية؛ موقف واحد من الحق من جلوسه فقط في الكنيسة وسماعه لترانيم الإنجيل عرف أن هذا ليس الحق.

لما تسلم عقلك لسطوة المجتمع والغلبة والكثرة أنت تعطل عقلك هنا عن التفكير، سلمان لم يذهب لدينهم وأرسل لهم "أنقذوني" هو ذهب يبحث عن الأصل، هناك أناس لما تتغير في حياتها لا ترضى أنها تتغير على الخط الأخير بل عندما تريد الشيء تقوم به على أفضل وجه، **فالمشكلة أحيانًا عندما نرضى ونتجه إلى الكمال في دنيانا في كل شيء ولما نأتي إلى علاقتنا بالله عز وجل نرضى أن نكون في الخط الأخير**، سلمان لما ذهب إلى النصارى كانت تجربته سيئة وهذه من أقدار الله ليمتحن بها صدق سلمان.

الآن.. هل اكتفى سلمان بهذه التجربة لا بل يقول لابن عباس : فلا والله - يا بن عباس - ما رأيتُ رجلاً قط لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه وأشد اجتهادًا ولا زهادة في الدنيا، ولا أدأب ليلاً ونهارًا منه، ما أعلمني أحببتُ شيئًا قط قبله حبه، فلم أزل معه حتى حضرتْه الوفاةُ، فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني واللهِ ما أحببتُ شيئًا قط حبك، فماذا تأمرني؟ وإلى مَن توصيني؟ فقال لي: أي بُنَي، والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل فأتِه، فإنك ستجده على مثل حالي، فلما مات وغيِّب لحقت بالموصل فأتيتُ صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا، فقلت له: إن فلانًا أوصى بي إليك أن آتيَك وأكون معك، قال: فأقم أي بُنَي، فأقمتُ عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة، فقلت له: إن فلانًا أوصى بي إليك وقد حضرك من أمرِ الله ما ترى، فإلى مَن توصيني؟ قال: والله ما أعلمه أي بني، إلا رجلاً بنَصيبينَ، وهو على مثل ما نحن عليه، فالحَقْ به، فلما دفنَّاه لحقت بالآخر، فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصى بي إلى فلان، وفلان أوصى بي إليك، قال: فأقم يا بُنَي.

الله سبحانه يمتحن والطريق قد لا يكون سهلًا، كان من الممكن أنه يعيش مع واحد ويعيش ثلاثين أربعين سنة لكن الله سبحانه يريد أن يمتحن ويجعل أمام العبد تلك العقبات ليمتحن صدق إيمانه، الامتحان الأول برجل السوء الذي كان من الممكن أن يكون له ردة فعل وينتكس من كل هذا الطريق، ومع ذلك لم يفعل لأنه آمن عقيدة أن الله هو الحق، ذهب للثاني فمات ثم ذهب للثالث فمات أيضًا ولم يتوقف إلى هنا:

فأقمتُ عنده على مثل حالهم حتى حضرتْه الوفاة، فقلت له: يا فلان، إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى، وقد كان فلان أوصى بي إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إليك، فقال: أي بني، والله ما أعلم أحدًا على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم، فأتِه، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه، فلما واريته خرجتُ حتى قدمت على صاحب عمورية، فوجدته على مثل حالهم، فأقمت عنده واكتسبت حتى كانت لي غنيمة وبقرات، ثم حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان إن فلانًا (كان) أوصى بي إلى فلان، وفلان إلى فلان، وفلان إليك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله (تعالى) فإلى مَن توصيني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه، آمرُك أن

تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نَبِيٍّ يبعث من الحرم، مهاجرُه بين حرَّتينِ إلى أرض سَبِخة ذات نخيلٍ، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلصَ إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه، فلما واريناه، أقمت حتى مرَّ بي رجال من تجار العرب من كلب

هناك أمور أنت تفهمها وتعلمها.. عندما تقرأ في السير تجد أنهم كانوا يعلمون أن هناك نبي سيخرج وكانوا يعلمون اسمه ويعرفون صفته وشكله ومع ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ولذلك اليهود لما سكنوا المدينة كانوا ينتظرون هذا النبي لكنهم كانوا يؤملون أن يخرج من بني إسحاق من بينهم فلما خرج من بني إسماعيل، صار الرفض كرامةً وكبرياء منهم إذ كيف يكون الإذعان للعرب هؤلاء الجاهلية الذين كانوا يركعون لنا ويأخذون من أموالنا، أيعقل أن نتبعهم نحن؟ لا يكون ذلك، ولذلك رفضوا الدين.

فقلت لهم: تحملونني معكم إلى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتي هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم، فأعطيتهم إيَّاها وحملوني، حتى إذا جاؤوا بي وادي القرى، ظلموني فباعوني عبدًا من رجلٍ من يهود بوادي القرى، فوالله، لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي، وما حقت عندي حتى قدم رجل من بني قريظة من وادي القرى، فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده، فخرج بي حتى قدِم بي المدينة، فوالله، ما هو إلا أن رأيتُها فعرفت نعتها، فأقمت في رقٍّ مع صاحبي، وبعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بمكة، لا يذكر لي شيء من أمره، مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قُباء،

-أي بعد ثلاثة عشر سنة من النبوة يقول لم أكن أعلم به -

وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له، فوالله إني لفيها إذ جاء ابن عمٍّ له فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لفي قُباء مجتمعون على رجل جاء من مكة، يزعمون أنه نبي، فوالله ما هو إلا أن سمعتُها، فأخذتني العرواء(يقول: الرعدة)، حتى ظننت لأسقطن على صاحبي، ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ ما هو؟ فرفع مولاي يدَه، فلكمني لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا؟ أقبل قبل عملك، فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبرًا فأحببتُ أن أعلمه، فلمَّا أمسيتُ، وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقُباء، فقلت: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحابًا لك غرباء، وقد كان عندي شيء للصدقة، فرأيتُكم أحقَّ مَن بهذه البلاد به، فها هو ذا فكُلْ منه، فأمسك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده، وقال لأصحابه: ((كُلُوا)) ولم يأكل، فقلت في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي، ثم رجعت، وتحوَّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، فجمعت شيئًا كان عندي، ثم جئته به، فقلت: إني قد رأيتُك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة، فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأكل أصحابه، فقلت: هذه خلتان، ثم جئتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يتبع جنازة وعليَّ شملتان لي، وهو في أصحابه، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره، فلما رآني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استدبرته عرَف أني أستثبتُ شيئًا قد وُصف لي، فوضع رداءه عن ظهرِه، فنظرت إلى الخاتم بين كتفَيه كما وصف لي صاحبي فأكببتُ عليه أقبِّله وأبكي،فقال: ((تحول يا سلمان هكذا))، فتحولت فجلست بين يديه، وأحب أن يسمع أصحابه حديثي عنه، فحدثته يا بن عباس كما حدثتك، فلما فرغت، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((كاتِبْ يا سلمان))، فكاتبتُ صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها، وأربعين أوقية، وأعانني أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنخل؛ ثلاثين ودية، وعشرين ودية، وعشرًا، كلُّ رجلٍ منهم على قدرِ ما عنده، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((فقِّر لها، فإذا

فرغت فآذني، حتى أكون أنا الذي أضعها بين يدي))، ففقرتها وأعانني أصحابي، (يقول: حفرت لها حيث توضع)، حتى فرغنا منها، ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله، قد فرغنا منها، فخرج معي حتى جاءها، وكنا نحمل إليه الوَدِيَّ، ويضعه بيده ويسوِّي عليها، فوالذي بعثه بالحق، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقيت عليَّ الدراهم، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أين الفارسي المسلم المكاتب؟))، فدعيت له، فقال: ((هذه يا سلمان، فأدِّها مما عليك))، فقلت: يا رسول الله، وأين تقع هذه مما عليَّ؟ قال: فإن الله -تعالى- سيؤدي بها عنك، فوالذي نفس سلمان بيده، لوزنت لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم، وكان الرقُّ قد حبسني، حتى فاتني مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (بدر)، و(أُحُد)، ثم عتقت فشهدت الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد. رواه أحمد، وحسنه الأرنؤوط.

عن أَبي هريرة، قال: " كنا جلوسًا عند النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فنـزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ:(وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ)قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال: فلم يراجعه النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى سأله مرّة أو مرتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمان الفارسيّ، فوضع النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يده على سلمان فقال: "لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاءِ". رواه البخاري ومسلم.

سلمان هو صاحب البيت المعروف: أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخروا بقيس أو تميم.

من قصة سلمان وزيد هؤلاء الذي قضوا أعمارهم بحثًا عن هذه الحقيقة نلخص منها ثلاثة دروس مهمه:

1- **يجب أن تجاهد من أجل الحق**، فلا بد أن تبحث عن الحق وتجاهد من أجله، وهذه المجاهدة ليست فقط في البحث عن الحق أنك تسمعه أو أن تراه أو أن تكون فقط مستمعًا جيد أو متابعًا لشيء من الحق أو الهدى بل أن تجاهد لتبحث عن الحق الذي يحرك فيك شيئًا ولذلك لاحظوا في قصة زيد طوال قصته نقول (سافر إلى الشام - أول رحلاته -ثاني رحلاته -وغيرها) وليس سفرًا بسيارة أو طائرة بل نتكلم عن سفر شاق وليس من أجل تجارة لا بل كان يسافر هذا كله فقط من أجل البحث عن هذا الدين الحق،

وسلمان كذلك كان يتنقل ما بين بلاد فارس ثم إلى الشام ثم إلى العراق و ينتقل فيها إلى الموصل إلى نصيبين ثم يذهب إلى عمورية ثم ينتقل إلى بلاد العرب رقيقًا عبدًا بعد أن كان سيدًا ابن سيد ، وهذا مصداق قول الله عز وجل:" أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ" الآن الصابرين والصادقين هؤلاء يمتحنهم الله في صدقهم وصبرهم ومجاهدتهم

لذلك لا يظن إنسان أن الطريق سيكون سهلًا وبسيطًا بدون عوائق، ولا تظن أن إيمانك لن يتعرض إلى امتحان، يقول الله عز وجل في آية فيها بشارة :" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا " الآن الله يجعل عليه هذا العهد أن كل إنسان يجاهد بحثًا عن الحق أن الله يهديه سبيله، وهذه بشارة لكل إنسان في أي موقف أنت تتعرض له ولا تعلم ما الصحيح فيه.

الإمام أحمد سئل عن أيُّ العلماء نسأل؟ أي في بلدة معينة، فأوصى بهم إلى فلان فقالوا له إن فلان رجل عابد

-أي ليس لديه من العلم الكثير- قال: مثله يوفق للحق. لأن فيه صدق بينه وبين الله فغالبًا هذا يوفق إلى الحق أي لن يخذله الله عز وجل في موقف فيختار القرار السيء حينما لا يكون عنده علم فيه، ولذلك مهم أن الإنسان يجاهد من أجل الحق ويبحث فيه.

2- **أنك إذا عرفت فالزم**، يوجد أناس تحصل على الحق ويأتيها على طبق من ذهب ويأتيهم الهدى إلى مكانهم، فإذا عرفته ورأيته فالزمه وقضية الالتزام ألا تتبدل عنه يسرة ولا يمنة، فلما عمر بن الخطاب سأل أبي بن كعب عن الاستقامة يتحدثون عنها ثم قالوا: "قل آمنت بالله ثم استقم"، " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا" قال عمر: قال: استقاموا - والله - لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب .

قضية الاستقامة هي أن تعرف دين الله فتستقيم عليه ولا تأخذ يمينًا ويسارًا وتحاول أنك تجد حلولً رمادية يمينًا، لكن استقم على أمر الله عز وجل، ولذلك أنت الجماعة ولو كنت وحدك وأنت الحق ولو كنت لوحدك في هذا الطريق، ولا تقبل أنك تساوم على الحق وللأسف نحنُ الآن نساوم كثيرًا على هذا الحق مع أننا نعلم ما يجب أن نفعل وما يجب أن نترك ومع ذلك نساوم عليه.

3- **لا تستسلم لسطوة الغلبة ولا الكثرة**، ولا تستسلم للباطل ولو انتفش، لا تغر عينك انتفاشة الباطل، الباطل لجلج والصوت قد يكون عالٍ ومزعج ويصم الآذان لكنه مؤقت، فالباطل ينتفش مثل البالون ولكن بمجرد إبرة واحدة تفرزها يصبح هذا كله هباءً منثورًا ولذلك الباطل لجلج والحق أبلج

ويقول الله عز وجل :" فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ" تأملي البحر وانظري إلى كميات الزبد البيضاء الموجودة تظنين أنها ما يمكن أن تذهب؛ فتأتي موجة واحدة تأخذ هذا الزبد كله فكأنه لم يكن، إذًا **لا تستسلم للغلبة ولا الكثرة ولا تستسلم لسطوة المجتمع حينما يكون الأغلب يفعل هذا الذنب أو الكل لا يرى هذا الشيء حرامًا أو إثمًا.**

تخيلوا معي لو أن لوط عليه السلام استسلم لقومه في فعل الفاحشة التي كانوا يفعلونها، فيقول لهم لوط في قوله تعالى :" إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ" كانوا يأتون الذكران في مجالسهم علانية لا يستخفون فيها ولا يسترون ثم لما يأتيهم البديل يقول لهم هؤلاء بناتي تزوجوهن بالحلال بدون مهر، يقولون له في قوله تعالى:" لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ" فكانوا يعرفون ويعلنونها في مجالسهم، تخيلوا لو أن لوط استسلم لذلك المجتمع واستسلم لتلك السطوة الغالبة الكاثرة وما كان هناك ولا قاوم كيف سيكون الأمر! ونعلم أن كل هؤلاء ومن فيهم أخذهم الله عز وجل وارتكست كل تلك القبيلة وتلك القرية فقد رفعها الله عز وجل أو كما جاء في الأثر أن جبريل رفعها على جناحه إلى أن سمعت السماء صياح بهائمهم ثم قلبها الله عز وجل رأسًا على عقب وقيل بل رموا بأحجار.

تخيلوا هذا لو طُبع وأصبح الشذوذ شيئًا عاديًا ويجرم من ينكره أو يجرم من يتكلم عليه ويصبح عدوًا لحقوق الإنسان أو غيرها.

تخيلوا لو شعيب عليه السلام استسلم لممارسات الباطل والظلم الذي كان يفعله قومه، يطففون بالمكيال والميزان ويأخذون المال ولو كان حرامًا ويفعلون ذلك وأصبحت من الفهلوة أن يكون عندك

اقتصاد قائم على الربا وفوائد، وأي إنسان لا يمارس هذا الحرام يصبح إنسانًا فيه سفاهة وضلالة، ولذلك انظروا في سورة يونس وسورة هود كيف كانت مجادلات أقوام الأنبياء لأنبيائهم وكيف كانوا يردون عليهم بكل صفاقة :" إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ"

ثم فوق هذا كله تخيلوا معي أيضًا لو أن صالحًا استسلم لقومه وجبروتهم لما كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا فيظنون هم ألّا شيء مثل قوتهم ولا جبروتهم وأنه لديهم أقوى قوة بشرية ولديهم الأموال ولديهم القوة العظمى وأنهُ من من الممكن أن يغلبنا؟ ومع ذلك أخذهم الله عز وجل بصيحة، ليست بحجارة ولا بسجيل وإنما مجرد صيحة دخلت آذانهم فأهلكتهم عن بكرة أبيهم.

إذًا القضية ليست غلبة الباطل في وقت من الأوقات ولا القضية أن المنكر يطبع وأن الجميع يتقبله، بل القضية أنت!

كيف تكون وحدك على الحق وألا تجعل نفسك فريسة على هذا الباطل، ومن أهم الأشياء التي يجب أن يتعاهدها الإنسان أن يخلق لنفسه دائرة الصلاح وألا يكتفي فقط بصلاح نفسه وإنما أنت مسؤول عن صلاحك وأهل بيتك وصلاح أبنائك أنت مسؤول عن تربية الصلاح وعن خلق مجتمع صالح لك ولمن يرتبط بك؛

لأن المجتمع القادم قد يحمل في طياته شرًا من هذا الزمن الذي نحن فيه، فما هي استعداداتك لتربية هؤلاء؟

ولذلك لما تكلمنا عن زيد بن عمرو مر علينا أنه لا يأكل من ذبائح القوم، وهؤلاء قومه الذين يجالسهم صباحًا ومساءً في تلك الأقوام التي أساسًا اللحم لم يكن متوفرًا عندهم بكثرة ومع ذلك ما كان يأكل من هذه الذبيحة إذا لم يذكر اسم الله عليها وإذا كانت ذبحت على صنم، إذًا ماذا كان يأكل؟

لاحظوا هذا كله وقارنوه فقط بقرار واحد ستفعلونه لأبنائكم، قد تقول الأم مثلًا سأمنع ابني الذي عمره سبع سنوات من الأجهزة الإلكترونية، أريد ابني يقرأ ويحرك عقله، ماهي كمية الضغط المجتمعي الذي من الممكن أن يمارس على قرار ليس فيه حلال ولا حرام، والمفترض أن الناس المثقفة تشجع ذلك لأنه ثبت طبيًا وبدراسات الموهبة وغيره أن هذا أفضل له ومع ذلك قد لا نصبر ونرى أناسًا كثر لا تستطيع أن تواجه الغلبة وتقول لك حاولت لكن لم أستطع.

إذًا هذا على قرار بسيط فكيف بقرارات الحلال والحرام التي قد لا نستطيع أن نفعلها نحن لأننا لا نستطيع أن نواجه المجتمع.

إذًا نحن مسؤولون عن صلاح أنفسنا ومن معنا، ولذلك زيد بن عمرو وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وغيرهم كانت هذه أسماء مبجلة في التاريخ، أبو لهب وأبو جهل كانوا ينظرون بعين الإكبار لزيد ابن عمرو وورقة بن نوفل لأنهم لا يعتبرونهم سوى عباد زهاد مع أنفسهم لكن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ما كان عندهم رسالة ولا كان عندهم هم، هم يفعلون الصلاح بأنفسهم

ولذلك غالبًا أهل الباطل ليس لديهم مشكلة إذا كان صلاحك لنفسك فلا تقول لنا شيئًا ولا تنكر علينا، وتقول أن هذا الشيء حرام! فمتى ما تعديت هذه الدائرة فأنت دخلت في دائرة التضييق وستشعر لا محالة من الآخرين أنك قمت بفعل شيء مكروه للناس، وتأتيك من الجمل كـ: من تكون أنت حتى تقول لنا أن هذا حلال أو

حرام، ولذلك لم يهاجموا زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ولم يهاجموا قس بن ساعده بل كانوا يتغنون بأشعارهم ولكنهم هاجموا رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما جاء، مع أن رسول الله لم يأتِ إلا بمكارم الأخلاق ولم يأتِ بشيء عظيم هو جاءهم متممًا لأخلاقهم وأتاهم فقط بأن يعبدوا الله وحده وأن يتركوا عبادة الأصنام، لم يأتهم بشيء لا يعرفونه لكن المجتمع الذي هم فيه كانت الغلبة التي تسيطر على عقولهم منعتهم..

لذلك أنت صاحب القرار مع نفسك وأنت ترى إما أن تكون في أوائل الصفوف وإما أن تكون في آخر الصفوف التي تعبد الله عز وجل على طرف لكن الأهم من هذا كله هي هذه الدروس الثلاثة، جاهد من أجل الوصول إلى الحق والزم إذا عرفت ثم لا تستسلم للباطل ولو انتفش.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها